

# اتحاد مصر وسورية

اذا كان ثمة موضوع يمكن ويجب أن يعلو على الخلافات الحزبية والاجتهادات الضيقة، فهو موضوع الوحدة. إذ ما نفع اجتهادات الاحزاب وعملها، بل ما الفائدة من وجودها اذا بقي وطننا مقطعاً الى اجزاء لا يستطيع أي منها - مهما يكن واسعاً قوياً - ان ينهض وحده، وبشكل عميق أصيل، بعبء المبادئ التي تنادي بها الاحزاب، هذه المبادئ التي ما كان يمكن ان تنزع الى العمق والاصالة والشمول لولم تكن مستلهمة من تاريخ الامة العربية يوم كانت موحدة، ولولم تكن صورة الوحدة المقبلة دوماً في أذهان حملة هذه المبادئ وقلوبهم.

يتعذر على أي كان أن يفسر عنف النضال الذي خاضه وما زال يخوضه شعبنا في اقطاره الواسعة واجزائه الصغيرة المنعزلة، سواء ضد الاستعمار الاجنبي الغاشم، أو ضد الطغيان الداخلي والاضاع المتخلفة الفاسدة، اذا لم يضع نصب عينيه هذه الحقيقة وهي: ان الشعب العربي، في بقاع وطنه، كثر عدده أم قلّ، انما يناضل مسلحاً بقوة الامة العربية كلها، لانه يناضل في سبيل حرية الامة العربية كلها، كما انه يتعذر على اي كان ان يفسر كيف يرتفع شعبنا فوق نفسه في بعض اللحظات القومية المقدسة - كهذه اللحظة التي نحياها الآن ونعقد فيها العزم على تحقيق أول خطوة عملية في طريق وحدتنا - فتتلاقى القلوب والجهود على صعيد المصلحة العربية العليا، وفي سبيل بناء المستقبل، نقول انه يتعذر على المرء تفسير ذلك اذا لم يضع نصب عينيه

تلك الحقيقة، وهي اننا لم نجمع امرنا هنا في سورية، ولم يوطد اشقاؤنا عزمهم في مصر، على هذه الخطوة المباركة كسوريين ومصريين إلا لاننا هنا وهناك نشعرونعرف ان تلك هي ارادة الامة العربية في كل مكان، وانه لايسعنا إلا الاستجابة لتلك الارادة . من خلال هذا الافق وهذه النظرة، ندرك ان خطواتنا هذه قومية خالصة، ايجابية كلها، لا أثر لسلبية فيها . فليس فيها نكاية لفئة أو تخذ لقطر ما دامت في مصلحة جميع العرب، وما دامت خير بداية هيأتها الظروف ونضال الشعب الطويل لجمع العرب في كيان واحد . واذا كان لأحد ان يستاء منها ويكيد لها، فهم الاستعماريون أعداء حرية الشعوب ودعاة الحرب وأذئابهم الصهائية الباغون المعتدون .

لقد آمنا دوماً كما آمن الشعب بأن الوحدة هي أعظم المطالب القومية والاهداف الثورية التقدمية . اذ لايعقل ان يكون شعبنا قادراً على أن يحقق، وهو مجزأ مبعثر، مثل هذه الانتصارات على الاستعمار ومثل هذه الخطوات في مضمار التقدم، وأن لا يحقق اضعافها عندما تتكفل جماهيره، ويتضاعف عدده ووسائله . والشعب لا يأخذ على بعض مشاريع الوحدة كونها رجعية، بل كونها وهمية، لان الوحدة والاستعمار نقيضان . وما نشاهده ونعانيه في مرحلتنا الحاضرة خير دليل على ذلك . فزوال الاستعمار يوقظ الوجدان العربي في الاقطار التي كانت عربيتها هاجعة، وسيطرة الاستعمار تشل اكثر الاقطار العربية حماسة للوحدة .

وهذا يعني ان الوحدة - على جلال شأنها - لا يمكن أن تنفصل عن الاهداف القومية الاخرى، ولا أن تجرد عن الواقع تجريداً عاطفياً خيالياً يفسح المجال أمام تشويه الاستعمار ودسائسه . فلا بد اذن أن يكون للوحدة اتجاه، وأن تتجه نحو التحرر والتقدم، فهما طريقها وغايتها، وهي لها الضمانة الكبرى .

وقد أعطى نضال العرب الصادق، ووعيهم النير، اولى ثمراته بأن تهيأت في الخطوة الاتحادية بين مصر وسورية أسلم الشروط لبداية وحدة ذات اتجاه . واتجاهها التحرري التقدمي، بالاضافة الى العوامل الجغرافية وملايسات خطر اسرائيل، يحتم عليها أن تكون نواة متفتحة وجاذبة مستقطبة لبقية أقطار العروبة في المشرق والمغرب .

واننا نخطيء أياً خطأ إذا سلمنا بفائدة هذه الخطوة دون ان نسلّم بضرورتها القاهرة، إذ انها ليست خطوة الى الامام فحسب، بل انها الضمانة الوحيدة لكي لا نتراجع عما حققناه حتى الآن ولكيلا نفقده. فكل تحرر لاتضمنه الوحدة يبقى مزعزعاً معرضاً للانتكاس، وكل تقدم يظل سطحياً مشوهاً ممسوخاً ما لم تفتح له الوحدة اجواء النماء.

إذا كنا جادين في تقدير عظم الاخطار المحيقة بنا، فهذا الاتحاد خير سبيل للوقاية وللدفاع، وإذا كنا واثقين بامكانيات شعبنا، مؤمنين بنزوعه الصادق الى الحرية والعدالة والوحدة، فهذا الاتحاد سيكون المحرك الفعال لتلك الامكانيات، يضاعف الثقة، وينسق النضال ويختصر الزمن، لخير العرب وخير الانسانية.

٦ تموز ١٩٥٦